

حضور الخيل وألوانها في الموروث الأدبي القديم

The presence of horses and their colors in the ancient literary legacy

إبراهيم لقان*

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميله

b.leguene@centre-univ-mila.dz

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تشكل الخيل تمثالا رائعا في ذاكرة الشاعر العربي على مر العصور، وتعد مصدر إلهام لدى الكثير من الشعراء، وتعتبر أوصافها ظاهرة بارزة لدى مشاهير شعراء الفروسية. وقد شكلت ملاذا لجأ إليه الشعراء في ظروف الحياة المختلفة؛ هروبا من واقعهم التعيس وحفاظا على كرامتهم، أو احتفاء من الضيم الممارس عليهم من سلطان القبيلة أو صدا للعدوان وذودا عن حياضهم أو تنفيسا عن همومهم تسلية ولها في ممارسة الصيد ومطاردة الأوبد. وقد حفل المتن الشعري في عصور الأدب المختلفة بالقصائد المعبرة عن صفات الخيل وبطولات الفرسان. ويهدف هذا البحث إلى استنطاق النص الشعري القديم للوقوف على مدى حضور الخيل ومقامها في حياة العربي.	تاريخ الإرسال: 2023/11/15 تاريخ القبول: 2025/05/22 الكلمات المفتاحية: ✓ الخيل؛ حضورها ✓ ألوانها؛ الموروث ✓ الأدبي؛ القديم:
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
<i>Horses constitute a wonderful statue in the memory of Arab poets throughout the ages. and constitute a source of inspiration for many poets, and their descriptions are considered a prominent phenomenon among famous equestrian poets. It formed a refuge to which poets resorted in different circumstances of life: escaping from their miserable reality and preserving their dignity, or sheltering from the oppression practiced on them by the authority of the tribe, or repelling aggression and defending their land, or alleviating their worries and having fun in the practice of hunting and chasing animals. There are many poems in ancient Arabic poetry describing horses and the courage of knights. This research aims to interrogate the ancient poetic text to find out the extent of the presence of horses and their place in the life of the Arab.</i>	Received Accepted Keywords: Keywords: ✓ Horses ;presence ✓ Colors;literary ✓ Legacy;ancient

أولاً - تمهيد

تذكر كتب تاريخ الأدب العربي أن حياة العرب فيما يعرف بالعصر الجاهلي كانت قائمة على الحل والترحال، بحثاً عن الماء ومنابت الكلاء، وكانت العلاقات الاجتماعية قائمة على الإغارة والغزو والسلب والنهب، ولا شك أن هذه الحياة تتطلب ما يساعد العرب على حمل متاعهم الذي لم يكن يتجاوز أعمدة و قطعاً من الوبر والشعر لنصب الخيام التي لم تكن في غالب الأحوال تقوى على صد الرياح الرملية العاتية التي كانت تهب في مواسم معينة، وكان من بين الوسائل المستعملة في ذلك الخيل هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانت الخيل وسيلة ناجعة من وسائل الحرب التي يرجع إليها الفيصل في حسم المعارك التي كانت في الغالب تقوم على الكر والفر، لهذه السباب ولغيرها حظيت بمكانة كبيرة عند العرب، وكانت جزءاً من حياتهم، وشكلت مصدر إلهام لشعرائهم، فرسموا لها صور رائعة خلدتها أشعارهم على مر عصور الأدب العربي.

ولا غرو إذاً أن يجعل العرب نتاج الخيل إحدى المناسبات المهمة التي يقيمون لها الأفراح، فقد ورد في كتاب العمدة لابن رشيقي (ت 456هـ) باب بعنوان: باب احتماء القبائل بشعرائها ورد فيه: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشرون الرجال والولدان؛

لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكورهم. وكانوا لا يهتفون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج" (القيرواني، ابن رشيقي، 1401هـ-1981، ص 67) وتفسير ذلك واضح.

وكان أشرف العرب يخدمون الخيل بأنفسهم، وكانوا يفتخرون بذلك، حتى عُدد ذلك مأثرة من المآثر التي يعتزون بها، فكانوا يمرنونها على أكل قديد اللحم، فإذا أجذبوا وقل اللبن أطعموها منه، ويسقونها الماء الدافئ في الشتاء، ويصنعون لها النعال لتقي خوافها ضد الصخور والأرض الصلبة" (عبد الملك بن قريش، الأصمعي، 1969، ص 339). ومثال ذلك قول زهير بن أبي سلمى:

تخطو على ربذات*، غير فائرة

تُحذى وتُعقد في أرساغها الخدم

(بن أبي سلمى، زهير، 1408هـ-1988، ص 116)

ثانياً - حضور الخيل في الشعر الجاهلي

لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها، وتكرمها صيانتها للخيل وإكرامها لها، فكانوا بها يدافعون عما يملكون، ويحمون حماهم، ويدودون عن حياضهم، ويطلبون ثاراتهم

* - الربذات، السريريات الرفع والوضع. الفائرة التي ينتشر عصبها. الخدم: السيور التي تشد بها نعال الإبل كالخلاخل وغيرها. ومعنى البيت: يقول: أهما تدأب في السير حتى تحفى، فتنعل كما تنعل الإبل. ينظر: ديوان الشاعر، ص 116. هامش الصفحة.

- وينالون بما الغنائم، ويتخذونها معاقل تقيهم غارات خصومهم،
 فظل ذكرها يتردد على شفاههم. (عبد الملك بن قريش،
 الأصمعي، 1969، ص 338).
- وكانوا يتباهون ويتفاخرون ويتنافسون في إكرامها بشكل
 يدعو إلى التأمل، ففي إكرامها إكرام المرء لنفسه، لأنها وقاية
 للنفوس، وفي ذلك يحث أحد بني عامر بن صعصعة قومه
 فيقول (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358هـ، ص 12).
- بني عامر ما لي أرى الخيل أصبحت
 بطانا وبعض الضمر للخيل أفضل
- بني عامر إن الخيول وقاية
 لأنفسكم، والموت وقت مؤجل
- أهيئونها لها ما تكرمون وباشروا
 صيانتها، والصون للخيل أجمل
- متى تكرموها يكرم المرء نفسه
 وكل امرئ من قومه حيث ينزل
- ولم تزل العرب على تلك العناية بالخيول، والحفاظ عليها، والصبر
 في بذل الجهد والتضحية للحصول على مؤنتها، وقبول الشدة
 والعسر في المعيشة من أجلها إلى درجة أن ربطوها بالخير كما
 يقول الطفيل الغنوي:
- وللخيل أيام فمن يصطبر لها
 ويعرف لها أيامها الخير تعقب
- (الغنوي، طفيل، 1997، ص 49)
- قال الأصمعي في هذا البيت: الخيل تأتي بالغنم، فمن يعرف لها
 أيامها الخير أعقبته. وقال مالك بن نويرة أخو بني يربوع في
 صيانتها فرسه وتفضيله إياه على أهله (معمر بن المثنى، أبو
 عبيدة، 1358هـ، ص 12):
- إذا ضيع الأندال في المحل خيلهم
 فلم يركبوا حتى تهيج المصائف
- كفاني دوائي ذا الخمار وصنعتي
 على حين لا يقوى على الخيل عالف
- أعلل أهلي عن قليل متاعهم
 وأسقيه محض الشول والحي هاتف
- وقال أبو عبيدة ومما قالت العرب في الجاهلية في اتخاذ
 الخيل وصيانتها واثرتها لما كانت لهم فيها من المكرمة والعز
 والجمال قول خالد بن جعفر بن كلاب يذكر فرسه وكانت
 تدعى حذفة:
- أريغوني إراغتكم فإني
 وحذفة كالشجي تحت الوريد
- أسويها بنفسي أو بجزء
 وألحفها ردائي في الجليد
- أمرت الراعيين ليؤثراها
 لها لبن الخلية والصعود

لعل الله يمكنني عليها

ويلقي بأثواب .العنيف المعطل

جهارا من زهير و أسيد

(امرؤ القيس، 1982، ص21)

(معمّر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358هـ، ص 12)

ومن الطبعي أن يتغنى العربي قديما بامتلاكه الفرس، ويعبر
عن ولعه بها ويفخر بركوبه إياها، لأنّهات مكسبه في كل رهان،
وحصن يتحصن به تجاه كل معتد، ووسيلة يستعملها في الحرب
والصيد، وقد جمع أبو دؤاد من منافعها ما برر به الاحتفاظ بها،
فقال: "

ومن مظاهر إعزاز الخيل وإكرامها ورفع مكانتها في نظر
أهلها، هذا البيت من معلقة امرؤ القيس، الذي يبين فيه كيف
يبعث مسروجا أمام عينيه:
وبات عليه سرجه ولجامه

وبات بعيني قائما غير مرسل

علق الخيل حب قلبي وليدا

(امرؤ القيس، 1982، ص21)

وإذا ثاب عندي الإكتار

وقد أمعن امرؤ القيس في الحديث عن فرسه، وسيلته في
الصيد، به يخرج باكرا، قبل أن تغادر الطيور أوكارها، وبواسطته
يدرك أسرع الحيوانات، ولا تعجزه أسرعها يستطيع تقييدها في
وقت قصير، سريع الإقبال سريع الإدبار، سريع الكر، سريع
الفر، شديد الصلابة والسرعة، منجرد الشعر من خيرة الخيل
الأصيلة، من شدة سرعته يكاد راكبه يطير إن كان خفيفا، أما
إن كان ثقيلا، فإن ثيابه تنزه من جسده ، يقول امرؤ القيس:

(أبو دؤاد، 2010، ص 23)

ومن شدة ملازمة العربي للخيل وارتباطه بها، أن الرجل
كان لا يبيع فرسه مها ضاقت به الحاجة واشتد به الأمر، لأن
يبعث فيه منقصة لشرفه، الأمر الذي يوحى "بالثقة الأكيدة التي
تغمر قلب العربي، والاعتقاد الرسخ بحبه لهذا الحيوان الأصيل
العريق، ونظرا لهذه الصلة بين العربي والخيل، فلا غرابة أن وجدنا

وقد أغتدي والطير في وكناها

بمنجرد قيد الأولبـهـيكل

مكر مفر مقبل مدبرا معا

كجلمود صخر حطه السيل من عل

يزل الغلام الخف عن صهواته

النضر بن شميل (204هـ) وأبو المنذر هشام محمد بن الكلبي (204 أو 206هـ) وأبو عمرو الشيباني (206هـ) وقطرب (206هـ) وأبو عبيدة (210هـ) له ثلاثة كتب في الخيل وأسمائها وحضرها. والأصمعي (213هـ) له كتابان باسم الخيل وخلق الفرس. وألف اللغويون الذين أعقبوا الأصمعي مجموعة كبيرة من هذه الكتب. وتصل كتب الخيل إلى القمة عند ابن سيده في مخصصه الذي يشغل منه سبعين صفحة من القطع الكبير" في الحديث عن الخيل. (لأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، 1969، ص 346).

وقد تحدثوا في هذه المؤلفات عن أهمية الخيل وعن صفاتها وأنسابها، أما بالنسبة لأبي عبيدة*، فقد بدأ كتابه الذي يعد أضخم ما وصلنا من الكتب المؤلفة في الخيل وأوصافها، بداهة بمقدمة تاريخية استعرض فيها أهمية الخيل في الجاهلية والإسلام. فقد كانت الخيل في العصر الجاهلي رمز القوة والعزة

فريقا من الشعراء قد تخصصوا في وصفها، فذكر الأصمعي ثلاثة من العرب لا يقارهم أحد في وصف الخيل، أبو دؤاد الأيادي، والطفيل الغنوي، والنابعة الجعدي، فكان أبو دؤاد على خيل النعمان بن المنذر، والطفيل كان تركبها وهو أعزل إلى أن كبر، والجعدي سمع أوصافها من أشعار أهلها فأخذها عنهم" (أبو سعيد، الأصمعي، 1969، ص 340).

والعرب قديما أهل فراسة، يقرأون الطالع ويقتفون الأثر ويعرفون الأنساب من الوجوه، ويعلمون الخيل الأصلية من غيرها، " قال أبو عبيدة أن أبا دؤاد أوصف الناس للفرس في الجاهلية والإسلام، وبعده طفيل الغنوي، والنابعة الجعدي، وكان أبو عبيدة عالما بأوصاف الخيل، وكان يقول: ما التقى فرسان في جاهلية ولا إسلام إلا عرفتهما وعرفت فارسيهما، وقا ابن الأعرابي: لم يصف أحد قط الخيل إلا احتاج إلى أبي دؤاد، وقد لقب بنعات الخيل، لأنه أحسن نعتها" (الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، 1969، ص 346).

وكما استأثرت الخيل باهتمام الشعراء، فقد استأثرت باهتمام اللغويين فعنوا بها عناية فائقة.، "وطبيعي أن تكون العوامل الدافعة لهذا الاهتمام هي العوامل نفسها التي حملت الشعراء على العناية بهذا الحيوان. وقد عرض الدكتور حسين نصار في رسالته المعجم العربي إلى كتب الخيل عرضا موفقا، فذكر أن أول من ألفت فيها تحت اسم الخيل أو خلق الفرس

*- هو أبو عبيدة، مَعْمَر بن المَثَنِي، كان مولى لبني عبد الله ابن معمر التيمي، قيل أنه ولد سنة (110 - 208هـ، 730 - 823م). في البصرة، وهي السنة التي مات فيها الحسن البصري، أخذ عن يونس وأبي عمرو، وهو أول من صنّف في غريب الحديث، عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب. له مؤلفات كثيرة. كان أبوه يهوديا، غرف بنزعه الشعبية...ينظر: عز الدين إسماعيل: المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 309.

والمنعة، وراد تقدير العربي لها بعد الإسلام ، بعد أنه أصبحت وسيلته الأولى في الحروب الإسلامية، يقول: "لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها ولا تكرمه صيانتها الخيل وإكرامها لها لما كان لهم فيها من العز والجمال والمنعة والقوة على عدوهم حتى أن كان الرجال من العرب ليبست طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده فيسقيه المحض ويشربون الماء القراح ويعير بعضهم بعضا بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها ويذكرون ذلك في أشعارهم". (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص2)

وختمه باب طويل، ضمنه ما عثر عليه من قصائد كاملة لعشرين شاعراً في وصف الخيل. وبين المقدمة والخاتمة أبواب عقدها للحديث عما ورد فيها من الأحاديث والآثار، وما يوصف من أمر الخيل وفحولها وإنائها، من لدن تستودق* إلى أن تنتج، وحال أولادها إلى أن تنتهي أسنانها". (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص38) ، ودعاء الخيل، وعيوب خلقتها، وعيوبها الحادثة، وما يستدل به على جودة الفرس وعتقه، وصفة العتق، وصفة ما يخالف الذكر فيه الأنثى، وأسماء الخيل، وما تستحب العرب من ألوانها، وأسماء الدوائر التي تكون فيها، وجريها ونشاطها وصهيلها.

*- تستودق: يقال استودقت الفرس إذا أرادت الفحل. ينظر: الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب، كتاب الخيل ص351.

ويتحدث ابن الكلبي عن أهمية الخيل قائلا: "وكانت العرب تربط الخيل في الجاهلية والإسلام، معرفة بفضلها، وما جعل الله من العز، وتشرفا بها، وتصبرا على المخصصة والأواء، وتخصها وتكرمها وتؤثرها على الأهلين والأولاد وتفتخر في ذلك بأشعارها، وتعتده لها، فلم تزل على ذلك من حب الخيل ومعرفة فضلها، حتى بعث الله نبيه عليه السلام، فأمره الله باتخاذها وارتباطها..." (ابن الكلبي، 1985، ص21).

ثالثاً- الخيل في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم الخيل في مواضع متعددة بدلالات مختلفة تناسب سياقات متعددة، فقد ذكرها عز وجل في سياق الحديث عن زينة الحياة الدنيا، وفي سياق الاستعداد وإعداد العدة للحرب، وفي سياق الملك ومتاع الدنيا الذي يلهي عن ذكر الله.

1- الخيل من وسائل زينة الحياة الدنيا

فقد ذكرها الله عز وجل الخيل في موضع الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها وفي كونها وسيلة من وسائل الزينة والفخر التي يحب الناس التباهي بها: {وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} النحل/8. وهنا بين الله تعالى أن الخيل تكون مظهراً من مظاهر الزينة للركوب التفاخر، مما يدل على أن العرب كان يتباهون في خيلهم عند الركوب، وكانت القبائل تفخر على الأخرى في الخيل والإبل. وقد ورد في

شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام، عشرين ألف فرسا، فعقرها" (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص 2468).

وورد في قوله تعالى: " فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ " ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت العصر، والذي يقطع به أنه لم يتركها عمدا بل نسيانا... " (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص 1622).

وفي قوله تعالى: "رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ". قال الحسن البصري: قال: لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي آخر ما عليك. ثم أمر بها فعقرت... وقال السدي: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف" (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص 2469). ويقال أن سليمان دعا بها ذات يوم، فقال: أعرضوها علي حتى أعرفها بشيائها وأسمائها وأنسابها. قال فأخذ في عرضها حين صلى الظهر، فمر به وقت العصر، وهو يعرضها، ليس فيها إلا سابق رائع، فشغلته عن الصلاة حتى غابت الشمس وتوارت بالحجاب. ثم انتبه فذكر الصلاة، واستغفر الله، وقال: لآخر في مال يشغل عن الصلاة وعن ذكر الله، ردوها... " (بن الكلبي، 1985، ص 25).

3- الخيل مظهر من مظاهر القوة وإرهاب العدو

تفسير هذه الآية: هذا صنف آخر مما خلق الله تبارك وتعالى لعباده، يمتن به عليهم، وهوة الخيل والبغال والحمير، التي جعلها للركوب والزينة بها وذلك أكبر المقاصد منها، ولما فصلها عن الأنعام وأفردتها بالذكر استدل من استدل من العلماء - ممن ذهب إلى تحريم لحوم الخيل - بذلك على ما ذهب إليه فيها". (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص 1622).

وفي آية أخرى قوله تعالى: { وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْنِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّتِهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا } (الإسراء/64). ، وفي هذه الآية قالوا: استفزز استخف واستنهض.

2- الخيل مظهر من مظاهر الملك

قال الله عز وجل: (وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوْهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ) ص / 30 - 33. ورد في تفسير هذه الآية (إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجَيَادُ). "أي عرض على سليمان في حال مملكته وسلطانه، الخيل الصافنات . قال مجاهد وهي التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة. ... وقال غير واحد، كانت الخيل التي

سمع وإلا أغار. وقوله (فَأَثَرَنَ بِهِ نَقْعًا) يعني غبارا في معترك الخيول. (فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا) أي: توسطن ذلك المكان كلهن جمع" (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص 3142).

رابعا- حضور الخيل في السنة النبوية

ويضيف أبو عبيدة: "فلم تزل العرب في ذلك من تثير الخيل والرغبة في اتخاذها وصيانتها والصبر على مقاساة مؤنتها مع جذوبة بلادهم وشدة حالهم في معيشتهم لما كان لهم فيها من العز والمنعة والجمال حتى جاء الله بالإسلام فأمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتخاذها وارتباطها لجهاد عدوه، قال الله تبارك وتعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } فاتخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحض المسلمين على ارتباطها فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرغب الناس فيها وأصونهم لها وأشدهم إكراما لها وعجبا بها حتى أن كان ليتسارَّ بصهيل الخيل يسمعه ويسبق بينها ويعطي على ذلك السبق ويمسح وجهه فرسه بثوبه حتى جاءت عنه بذلك الآثار ورواه الثقة من أهل العلم والصدق، وأسهم للفرس سهمين، وللرجل سهمًا واحدًا من المغام" (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص 3-4).

وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "الخل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وأهلها معانون عليها، ومن

إذا كان عرب الجاهلية قد أفردوا للخيل من الاهتمام ما عبروا عنه من خلال الشعر، فإن الإسلام قد أفاض في ذكرها بعد أن أصبح ارتباط الخيل بالجهاد واجبا كما في قوله تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } (الأنفال/60).

وقد جاء في تفسير هذه الآية: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ) أي مها أمكنكم (ابن الكلبي، 1985، ص 1308)

وقد صور القرآن الكريم أهمية الخيل، فأقسم بها وهي تضج بأصواتها اللاهثة فتوري الشرر بحوافرها القادحة، فتثير النقع وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة، قال عز من قائل: " ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (٢) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ [العاديات ١ - ٥

جاء في تفسير هذه الآيات، (وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا) أنه تعالى يقسم بالخيول إذا أجريت في سبيله، فعدت وضبحت، وهو: الصوت الذي يسمع من الفرس حين تعدو. (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) يعني اصطكاك نعالها للصخر فتقذح منه النار. (فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا) يعني الإغارة وقت الصباح، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويتسمع أذانا، فإن

ربط فرسا في سبيل الله كانت النفقة عليه، كالماد يده بالصدقة
لا يقبضها (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير، 2002، ص
1309).

والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة ، وفي
صحيح البخاري، عن عروة بن أبي الجعد البارقى: أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال: الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم
القيامة: الأجر والمغنم". (أبو الفدا اسماعيل بن عمر، ابن كثير،
2002، ص 1309).

وقد عقد ابن رشيقي القيرواني في كتابه العمدة بابا بعنوان:
با العتاق من الخيل ومذكوراتها جاء فيه: وأول ما أذكر منها
خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومراكبه، جريا على العادة
في التبرك باسمه: فمنها: "السكب" وهو فرسه يوم أحد، حكاه
ابن قتيبة، ومنها "المرتجز" وكان له فرس يقال "اللزاز" وفرس يقال
له "الضرب" وفرس يقال له "اللجيف" وفرس يقال له "الورد"
وزاد غير ابن قتيبة فرسا يقال له "سحة"... (القيرواني، ابن
رشيقي، 1981، ص 234). وجاء في كتاب: نسب الخيل في
الجاهلية والإسلام: "وكانت خيول رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمسة أفراس: (لزاز) و(لحاف) و(المرتجز) و(السكب)
و(اليعسوب)". (ابن الكلبي، 1985، ص 12).

ومن شدة حب الرسول صلى الله عليه وسلم للخيل
وتعلقه بها، "يروى أن أبو حاتم قال: حدثني أبو عبيدة قال

حدثني محمد بن سعيد بن زيد عن الزبير بن خريت عن أبي
ليبيد قال قلت لأنس بن مالك أكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يراهن على الخيل - قال إي والله لقد راهن على فرس له
يقال له (سبحه) فهش* لذلك وأعجبه" (معمر بن المثنى، أبو
عبيدة، 1358، ص 11).

خامسا - ألوان الخيل في كتاب الخيل لأبي عبيدة

كان موضوع الخيل من الموضوعات المحببة إلى علماء اللغة،
فقد ألف في موضوع الخيل قبل أبي عبيدة: أبو مالك عمرو بن
كركرة والنضر بن شميل وابن هشام الكلبي وأبو عمرو الشيباني
وقطرب كما كتب فيه معاصره الأصمعي. (أسماعيل، عز الدين،
د، ت).

أ- تعريف بكتاب الخيل

من أضخم ما وصلنا من الكتب المؤلفة في الخيل
وأوصافها، وقد قدم له مؤلفه بمقدمة نادرة عن منزلة الخيل عند
العرب، "لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئا من أموالها ولا
تكرمه صيانتها الخيل وإكرامها لها لما كان لهم فيها من العز
والجمال والمتعة والقوة على عدوهم حتى أن كان الرجال من
العرب لبييت طاويا ويشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده
فيسقيه الحض ويشربون الماء القراح ويعير بعضهم بعضا بإذالة

* - هش، أي: فرح

السواد وهو صافي اللون - والأكهب الذي لم يشتد سواده ولم
يصف لونه (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص103).

الخضرة (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص103-
104).

فمنهن أخضر أحمر وأخضر أورك وأخضر أطحل وأخضر
أدغم وأطخم

- فأما الأخضر الأحمر فأدناهن إلى الدهمة وأشدهن سوادا
غير أن أقربيه وبطنه وأذنيه مخضرة - أما الأدغم فهو الأسحم
فالذي لون وجهه ومناخره وأذنيه لون الذي يسمى الديزج
بالفارسية وقد يكون من الخيل أدغم خالص ليس فيه من
الخضرة شيء.

قال حضين بن المنذر الرقاشي:

عشية جئنا بابين زخر وجئتم

بأدغم مرقوم الذراعين ديزج

- وأما الأطحل فالذي تعلوه في خضرته صفرة كلون

الحنظل البالي

- وأما الأورك فانه يكون لونه لون الرماد وهو الذي تخضر

سراته وجلده كله.

الكمة

فمنهن كميته أحمر وكميته أطخم وكميته مدمى

وكميته أحمر وكميته أكلف فأما الأحمر فالذي يشاكل الأحوى

الخييل وهزالها وسوء صيانتها ويذكرون ذلك في أشعارهم"
(معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص2).

وختمه بباب طويل، ضمنه ما عثر عليه من قصائد
كاملة لعشرين شاعراً في وصف الخيل. وبين المقدمة والخاتمة
أبواب عقدها للحديث عما ورد فيها من الأحاديث والآثار،
وما يوصف من أمر الخيل وفحولها وإنائها، من لدن تستودق
إلى أن تنتج، وحال أولادها إلى أن تنتهي أسنانها، ودعاء الخيل،
وعيوب خلقتها، وعيوبها الحادثة، وما يستدل به على جودة
الفرس وعتقه، وصفة العتق، وصفة ما يخالف الذكر فيه الأنثى،
وأسماء الخيل، وما تستحب العرب من ألوانها، وأسماء الدوائر
التي تكون فيها، وجريها ونشاطها وصهيلها...

ب- ألوان الخيل في الكتاب

يرجع اهتمام علماء اللغة بموضوع الخيل إلى ما وجدوه
لدى العرب في هذا الموضوع من ثروة لغوية وأدبية كبيرة، إذ
كانت أكثر ما يعتز به العربي.

أما بالنسبة لألوان الخيل، فقد فصلها العرب تفصيلاً،
وبينوا الاختلافات حولها، يقول أبو عبيدة ومن ألوان الخيل:

أدهم وأخضر، وأحوى، وكميت، وأشقر، وأصفر، وورد،
وأشهب، وأبرش، وملمع، ومولع، وأشيم.

الدهمة: فمنهن أدهم غيهب وأدهم دجوجي وأدهم
أكهب، فأما الغيهب فأشدهم سوادا - والدجوجي دونه في

غير أنه يفصل بينه وبين الأحوى حمرة أقرابه ومراقه - وأما الأطخم فهو أظهر حمرة في سراته من الأحمر غير أنها ليست بصافية - وأما المدمى فالذي سراته كلها أشد حمرة شعره وكلما انحدر إلى مراقه ازداد صفاء ليس فيه من الصفرة شيء.

- وأما الأحمر فالذي استوت حمرة في أطراف شعره وفي أصوله فلم يكن لأطراف شعره فضل حمرة يستبان حين يستعرض - وأما المذهب فالذي تعلو حمرة صفرة وأما الكميت المحلف فهي أدنى الكمته إلى الشقرة وما وراء الشكير من قصار اشعر على لون جسده وما سوى ذلك مما بطن من الشعر أسود وأوظفته حمرة - وأما الأكلف فهو الذي كلفت حمرة فلم تصف وتري في أطراف شعره سوادا إلى الاحتراق ما هو - وأما الأصدا - فكدرة تعلو كل لون من ألوان الخيل ما خلا الدهمة وفيها صفرة - وإنما شبهوا بها لون الصدا من الحديد فإذا خلصت الكدرة من الصفرة ولم تكن حمرة الكلف فهي عفرة (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص 105-106) (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص 105-106)

الصفرة

من الصفرة أصفر أعفر وأصفر فاقع وأصفر ناصع - فأما الأصفر الأعفر فهو الأصفر الجنين والعنق وتعلو سراته وعنقه ومتمته وعجزه عفرة وجنباه ونحره وجرائه ومرفقه ووجهه أصفر وناصيته وعرفه وذنبه اسود فيه صهبة - وأما الأصفر الناصع

فهو أصفر السرة تعلو متمته جعدة غبراء وهو أصفر الجنين والمراق وتعلو وظيفه غبسة وشعر ناصيته وعرفه وذنبه اسود غير حالك (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص 106)

الوردة

فمنهن ورد خالص وورد مصامص وورد أغبس، فأما الورد الخالص فورد المتين تعلوه جعدة حمراء في كدرة من كتفه إلى ذنبه وهو ورد المتين والحشا وشفقي العنق والجراين والمراق واللاوظفة وأما الورد المصامص فتستقري سراته جدة سوداء ليست بالخالكة لونها السواد وهو ورد الجنين وشفقي النعق والجراين والمراق - وأما الورد الأغبس فهو الذي تدعوه الأعاجم السمند وهو الورد الذي لا تخلص حمرة عليها حمرة ليست بالصافية وتخالطها شعرة من السواد فيها حمرة وهي غبسا (معمر بن المثنى، أبو عبيدة، 1358، ص 107)

والورد فرس حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه وهو من بنات ذي العقال من ولد أعوج، وقال في ذلك حمزة: ليس عندي إلا سلاح وورد*** قارح من بنات ذي العقال أتقي دونه المنايا بنفسه

وهو دوي يغشى صدور العوالي

(ابن الكلبي، 1985، ص 30).

الشقرة

اجتمع من شعره من كل واحد من اللونين نكيته صغيرة تخلص من اللون الآخر فهو، أبرش، فإذا عظمت النكته فهو مدرن، وإذا كان في جسده بقع متفرقة مخالفة للونه فهو - مامع؛ وهو؛ الأشيم. فإذا كان فيها استطالة فهو، مولع (ابن الكلبي، 1985، ص108).

ومثاله قول القتال الكلبي في فرسه الشهباء التي لا يغريه أي ثمن لبيعها:

لا تقصيا مربط الشهباء منتبذا

بخلوة، إن ريب الدهر مرهوب

وقرباها إني لن تمس يدي

يدا بيع لها ما حنت النيب

(الكلبي، القتال، 1409هـ-1989، ص 32)

خاتمة

مثلت الخيل جزء مهما من حياة العربي الذي أحبها مند أقدم العصور لما قدمته له من نفع، لذا كانت عنايته بها أكبر من كل شيء.

وقد خلدها الشعراء الذين اتخذوها وسيلة في قضاء مآربهم، وصنعوا لها تماثيل رائعة في أشعارهم التي خلدها التاريخ.

فوصفوها كاملة وصورا كل جزء من أجزائها بشيء من التفاعل الذي يوحي أنها كانت جزءا من حياتهم. ولأهميتها في حياة الإنسان الاجتماعية في قضاء المآرب أو في الحروب، فقد ورد

فمنهن أشقر أدبس وأشقر مدمى وأشقر أقهب وأشقر أمغر وأشقر أفضح، فأما الأشقر الأدبس فهو الذي قد اشتدت حمرة شقرته حتى علاها سواد وناصيته وعرفه وذنبه اقل سوادا من لون شعر جلده والغالب عليها حمرة، وأما الأشقر المدمى فالذي لون أعلى شعرته تعلوه صفرة كلون الكميت الأصفر وأصول شعره كأنها خضبت بالحناء ليس بجمرة الكميت المذهب وهي اقرب إلى الصفرة، وما الأشقر الأصفر فالذي ليس بناصع الحمرة ولون عرفه وناصيته وذنبه كلون الصهبة ليس فيه من البياض شيء، وأما الأشقر الأفضح فالذي شقرته إلى البياض وعرفه وناصيته البياض فيهما افشى من الحمرة وأما الأشقر الأقهب فالذي علت شعرته كلها من جسده وعرفه وذنبه حمرة دون المغرة ودون الفضحة.

وقد وردت صفة الأشقر في قصيدة مالك بن الربب الشهيرة في قوله:

وأشقر محبوبكا يجر عنانه إلى الماء

لم يترك له الموت ساقيا

(ابن الربب، مالك، الديوان، ص91)

الشبهة

أما الأشهب فكل فرس تكون شعرته على لونين ثم تفرق شعرته فلا تجتمع في واحد من اللونين شعرات فلا تخلص بلون واحد كقدر الوكته فما فوقها فإذا كان كذلك فهو أشهب وإذا

5- امرؤ القيس، (1982)، الديوان، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4، جمهورية مصر العربية، مطبعة المعارف.

6- أبو دؤاد، (1431هـ-2010م)، الديوان، جمعه وحققه: أنوار محمد الصالح وأحمد هاشم السامرائي، ط1، دمشق، سورية، دار العصماء.

7- ابن الكلبي، (1406هـ-1985م)، نسب الخيل في الجاهلية والإسلام، تح: نوري حمودي القيسي وحاتم صلاح الضامن، العراق، مطبعة المجمع العلمي.

8- أبو الفدا إسماعيل بن عمر، ابن كثير (1423هـ-2002م)، تفسير القرآن العظيم، م2، بيروت، لبنان، دار ابن حزم، للطباعة والنشر والتوزيع.

9- بن أبي سلمى، زهير (1408هـ-1988)، الديوان، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

10- ابن الريب، مالك، الديوان، تح: نوري حمودي القيسي، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية، مجلد 15، ج1.

11- إسماعيل، عز الدين، (د،ت) المصادر الأدبية واللغوية في التراث العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

12- الكلاي، القتال (1409هـ-1989)، الديوان، تح: إحسان عباس، نشر وتوزيع، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

ذكرها في القرآن الكريم في مواضع عدة، وحظيت في أحاديثه صلى الله عليه وسلم بنصيب وافر.

وبعد الشعراء عكف فريق من العلماء على تأليف الكتب فيها متحدثين عن أوصافها وألوانها وأنسابها، وما وصلنا من هذه الكتب التي سبقت الإشارة إليها يدا على أهميتها.

يعد كتاب أبي عبيدة من أهم الكتب اللغوية التي ألفت في الموضوع الواحد، فكان هذا الكتاب مصدراً لمؤلفي المعاجم بعد الكاتب.

قائمة المصادر والمراجع

1- القيرواني، ابن رشيقي، (1401هـ-1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ج1، ط5، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، لبنان، دار الجليل.

2- أبو سعيد عبد الملك بن قريب، الأصمعي، (1969)، كتاب الخيل، تح: نوري حمودي القيسي، مستلة من مجلة كلية الآداب، العدد الثاني عشر، بغداد، مطبعة الحكومة.

3- مَعْمَر بن المثنى التيمي أبو عُبيدة، (1358)، كتاب الخيل، ط1، حيدر آباد الهند، دار المعارف الإسلامية.

4- الغنوي، طفيل، (1997)، الديوان، ط1، شرح الأصمعي، تح: حسان فلاح أوغلي، بيروت، لبنان، دار صادر.